ذكريات وتأملات

المهندس عبد الله بن حمد الفوزان

الحديث عن القامات الفكرية في بلادنا والأدوار والمهام التي أنجزها كل منهم يتطلب دقة في الرصد، وصدقاً في العبارة وتوثيقاً للحدث بمساحته وحجمه وتأثيره على مساحة الوطن. وعندما يكون الرصد لإنجاز اقتصادي أو طبي أو إنشاءات يسهل على الكاتب سرد المنجزات بلغة الأرقام والصور، ولكن ما أتحدث عنه في هذا المقام هو مجموعة من المواهب في شخصية إنسان واحد يملك من المشاعر الإنسانية تجاه الآخرين على اختلاف مشاربهم وأقطارهم وثقافتهم وأعمارهم ما لا يمكن تصديقه. يتعامل مع من لا يعرف بالطريقة التي يتعامل فيها مع أسرته، فالعالم هو الأسرة الكبيرة له، ينتمي لناسه، ويحبهم ويخاف عليهم، ويتأمل ويحزن ويتحمل همَّ أي حدث في أي بقعة على ظهر الكون، سواء كان هذا الحدث لفرد أو لشعب.

عشت معه مواقف كثيرة جداً من خلال تشرفي بالعمل معه عشر سنوات في العمل الرسمي، ومرافقته في المؤتمرات واللقاءات داخل المملكة وخارجها وتضاعفت هذه العلاقة وتوطدت بعد أن (ترجل عن صهوة جواد الوظيفة)، وترك العمل الرسمي كان لا ينام الليل لمتابعة أي أمر طارئ لشخص من أقاربه أو معارفه أو حدث سياسي أو من الكوارث التي تصيب العالم وما أكثرها، يتابع الخبر ويتفاعل معه ويحمل الهم، وكأنه حدث في منزله، ولا يهدأ له بال حتى يطمئن على سلامة الآخرين وراحتهم.

كانت بداية معرفتي بأبي أحمد (كما يفضل أن ينادى) في واشنطن عام ١٩٩١م إبان حرب تحرير الكويت، وكان شغله الشاغل وحديثه الدائم عن الحرب وتطورات الأوضاع

وكيل وزارة التربية والتعليم للمباني المدرسية سابقاً.

فـي دولة الكويت الشقيقة، (وكان مكلفاً لإجراء التقويم الأكاديمي للأكاديمية الإسلامية السعودية في واشنطن).

أمـا اللقـاء الآخر الـذي وطد علاقتي بـه بعد أن تـم تعيينه وزيراً للمعـارف في عام ١٤١٦هـ فكان بحكم عملي الرسمي وكيلاً مساعداً للمشاريع والصيانة. كان يعقد اللقاءات والاجتماعات اليومية مع المسؤولين كافة في الوزارة، ويداوم في مكتبه من السابعة صباحاً حتـى الثالثة. أخـذ – في مستهل عمله – يجمـع الأفكار ويطلب الإحصـاءات ويسأل عن المعوقـات لتذليلها، ويسأل عن مواقع النجاح لتعزيزه، ويتابع مواطن الإخفاقات ويعالجها سريعاً، وبحكم اهتماماته التربوية الممتدة طول حياته الدراسية والعملية كان يسهل عليه تشخيص الجانب التربوي في الوزارة، فيتعامل معه بجدية وبخصوصية، وهذا ليس غريباً عليه فهو فارس هذا الميدان، حينما بدأ تسلمه مقاليد المسؤولية عام ١٤١٦هـ كانت موارد الدولـة المالية قليلة بعـد أحداث حرب الخليج وتحرير الكويـت وانخفاض سعر البترول، وكانت الدولـة عازمة على الاسـتمرار في إنشاء المدارس الحكومية واضطرت إلى تمويل بناء المدارس من قبل القطاع الخاص باعتماد ٢٠٠ مدرسة للبنين ومثلها للبنات بتكاليف مليـاري ريال، وكان المشروع في ذلك الوقت في مراحله النهائية من الإنجاز، وقد حرص على مشاركة مناطق التعليم في افتتاح المجمعات المدرسية المنجزة. وكان يحرص كثيراً علـى تشريف أمراء المناطق لتلـك المناسبات، ومشاركة الطلاب بهذا الصرح التعليمي، ويدخـل الفرحـة إلى قلوبهم ويبـارك لهم ويحثهم علـى المحافظة علـى المبنى ورعايته والاهتمام بكل ركن منه، حتى يستفيد منه من سيشغله من بعدهم.

زار جميـع مناطـق المملكة ومحافظاتها وعقد اللقاءات الدوريـة فيها بحضور كافة مسؤولـي الوزارة، وكان لا يسمح أن يتأخر عـن المشاركة في هذه اللقاءات الخارجية أي مسـؤول لأنه يؤمن بالعمل بروح الفريق، ويؤمن أن الرأي والقرار بالأغلبية، وأن المسؤول في أي قطاع من قطاعات الوزارة يجب أن يشارك في كل ما تخطط له الوزارة، وأن يدرك كافة التفاصيل التي تهمّه، وأن ينقل رسالة الوزارة ومشاريعها إلى المجتمع.

تشكلت في البداية فرق استشارية من خارج الوزارة عكفت على وضع خطة العمل بعد مناقشة كافة قطاعات الوزارة، لترسم خارطة طريق لانطلاق أوليات العمل التربوي وتصميم البرامج المناسبة والتأهيل الجيد.

وفيما يخص قطاع المباني المدرسية والتجهيزات كلف فريق عمل من الوكالة لإعداد الخطة الوطنية للمباني المدرسية، وتم إعدادها وتقديمها في لقاء قادة العمل التربوي الذي عقد في منطقة القصيم عام ١٤١٧هـ برعاية كريمة من سمو أمير المنطقة وبحضور معالي وزير المالية وعدد من المسؤولين ومديري التعليم كافة وقد شملت الخطة ثلاثة برامج رئيسة هي:

- **برنامج تأمين الأراضي:**

ويشمل تأمين مائة موقع سنوياً لتغطية النقص بالأراضي بتكلفة تقديرية (٥٠٠) مليون ريال سنوياً.

- **برنامج الإنشاءات:**

ويشمل طرح ٣٠٠ مشروع سنوياً لإنشاء ١٥٠ مدرسة إبتدائية، و٩٠ متوسطة، و٦٠ ثانوية بتكلفة تقديرية (١ ٨٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠) ريال سنوياً.

- **برنامج الصيانة والتشغيل:**

ويشمل توفير موارد مالية لتغطية هذه الاحتياجات، بتكلفة تقديرية (٢٠٠) مليون ريال سنوياً.

وقد تمّ تفعيل دور القطاع الخاص في المشاركة في معالجة النقص في المباني المدرسية الحكومية عن طريق تمويل بناء المشاريع الحكومية وتأمين الأراضي، ودراسة فكرة الاستئجار الطويل الأجل، الذي توج بصدور قرار مجلس الوزراء رقم (١٧٨) لعام ١٤١٩هـ، بالموافقة على تولي الوزارة - بالاتفاق مع القطاع الخاص - إقامة المباني

المدرسيـة حسب الشروط والمواصفات التي تضعهـا الوزارة وفقاً لعقود تنتهي بالتملك، وبالفعـل تم تنفيذ (٤٠٠) مشـروع بتمويل من القطاع الخاص أنجز منها (٢٠٠) مشروع لتعليم البنين ومثلها لتعليم البنات.

تبرعات المواطنين

- ولم تقتصر تلك الإسهامات الخيرة والتبرعات الكريمة من المواطنين على منطقة أو محافظة بعينها بل شملت مختلف مناطق المملكة، وقد بلغ عدد هذه المشاريع (٣٥) مشروعا وبلغت قيمتها (١٨٠) مليون ريال.

- تنشيـط برنامج تملك الأراضي، والتأكيد على عـدم التنازل عن المرافق المخصصة للمبانـي المدرسيـة، واقتـراح البناء علـى المرافق الحاليـة التي لا تملكهـا الوزارة ثـم سـداد قيمتها فيما بعد، واقتـراح تملك الوزارة للمرافق الجديـدة ضمن النسبة المجانيـة، واقتـراح بيـع أو استبدال الأراضي التـي أصبحت الـوزارة في غنى عنها لاستثمـار ريعها في مشاريـع الوزارة أو شـراء أراض تحتاجها. والـذي توج بصدور قـرار مجلس الـوزراء رقم (١٠٥) لعـام ١٤٢٠هـ بالموافقة على بيـع الأراضي، التي لـم تعد صالحة لإقامة مشروعات عليها مع الموافقة على استثمار جزء من الأراضي والمباني المدرسية الواقعة على الشوارع الرئيسة.

- تشجيع التعليم الأهلي ومناقشة همومه، إذ تم عقد لقاء سنوي لملاك المدارس الأهلية، ونتج عن هذه اللقاءات العديد من القرارات منها في قطاع المباني المدرسية:

١) السماح لهم بالبناء على أراضي المرافق التعليمية التي لا تملكها الوزارة متى ما كانت الوزارة ليست بحاجة إليها بعد التنسيق مع وزارة الشؤون البلدية والقروية.

٢) السمـاح لهـم بإقامة مدارس للبنين والبنات علـى مرفق تعليمي واحـد وفق شروط وضوابـط يجب توافرها تراعي خصوصية المجتمع السعودي، إذ قدر وجود أكثر من مرفق في الحي لكل منها.

كان الوزيـر يؤكـد دائمـاً على العمل بروح الفريـق والقرار بالأغلبيـة الذي يتجلى في الاجتمـاع الأسبوعي يوم الأربعـاء، الذي كنا نترقبه بكل شوق، حيث يعرض في هذا اللقاء مشاريع الوزارة كافة وتناقش من قبل الحضور، ولابد فيه من استعراض أخبار الوزارة فيما أنجـز في ذلك الأسبـوع، والإشارة إلى ما سوف ينجز في الأسبـوع اللاحق إضافة إلى ما يستجد من أخبار اجتماعية عن جميع الحضور سواء من أخبار الترقيات أو الأفراح أو أي مناسبة سعيدة للزملاء الحضور إيماناً من أبي أحمد بضرورة الاستمرار في التواصل بين زملاء العمل، يعقد كل مدة لقاء اجتماعي يوم الخميس للمسؤولين كافة، وتتولى كل وكالة بالتنـاوب مسؤوليـة تنظيم هذا اللقاء الاجتماعي الذي يحرص منـه الوزير على أن يبتعد عن الرسميات ويكون لقاءً أخوياً كالأسرة الواحدة يتخللها ترفيه ورياضة ومساجلات.

ويعلـم الجميع حرصـ أبي أحمد علـى ممارسة رياضـة المشي يومياً بعـد العصر إلى المغرب، ويحاول التغلب على الظروف كافة للقيام بها في أي موقع، ويحرص على أن يشاركه بعض الزملاء الذين يسعد بالحديث معهم وحوارهم، وأتذكر أنه كلفني بالاشتراك في لجنة مهمـة يتطلب رفـع تقريرها عاجلاً للمقـام السامي، وحضرت الاجتماع طـوال ذلك اليوم، ورغبـت أن يطلـع عليه قبل رفع المحضـر، وتواعدنا على أن أحضر لموقـع ممارسة المشي لقراءة توصيات الاجتماع والمناقشة في أثناء المشي كسباً للوقت، وشدني حرص أبي أحمد إلى ممارسة هذه الرياضة، واستمر حرصي على ممارستها بصحبته يومياً حتى الآن.

اتضـح للوزيـر حاجـة المدارس إلى تجهيـزات مدرسيـة وخاصة وحـدات التكييف والتبريـد، فعرض ذلك شفهياً على خادم الحرمين الشريفين الملك فهد رحمه الله، وما أن علـم بذلـك قرر منح الوزارة مبلـغ (٦٣) مليون ريال لصرفها فـوراً لشراء المكيفات والبرادات، وتم تأمينها سريعاً بمواصفات متطورة من الصناعة الوطنية التي دائماً يؤكد أبو أحمد على اعتمادها دون غيرها طالما تحقق الجودة.

ومـن اهتمامات أبي أحمد تحسين البيئـة للموظفين في مبنى الوزارة والسعي الدائم لـدى كافـة المسؤوليـن في الدولة، وخاصـة وزارة الماليـة لاعتماد تنفيـذ المقر الجديد

للـوزارة علـى الأرض المخصصة لها فـي صلاح الدين، وتحقق له مـا يأمل، حيث اعتمد مبنـى للوزارة بمبلغ ٣٠٠ مليون ريال، وتم طرح المشروع وترسيته بعد زيادة الاعتماد إلى ٤٢٥ مليـون ريال، وهذا المبنى بعـد اكتماله سيكون بمشيئة الله أحـد المعالم المعمارية بمدينـة الرياضـ، لتميزه في التصميم وإعادة هيكلة الـوزارة واعتماد هيكل جديد مطور قطاعات الوزارة كافة ورفع المستوى لكل قطاع إلى وكيل وزارة بدلاً من وكيل واحد للوزارة.

وطالمـا أن الحديـث يدور عن مبنى الوزارة الجديد، فـلا أنسى أن لأبي أحمد موقفاً مشرفاً جداً إذ بدأ العمل في المرحلة الأولى لمبنى الوزارة، وهو عبارة عن تسوير الأرض وبناء المستودعات والورش والأستوديو والمطبعة، حين كتبت أمانة مدينة الرياض خطاباً للوزارة ترغب في التنازل عن مقدمة الأرض الواقعة على طريق الملك عبد الله بمساحة ٢٧ ألـف متر مربـع وتخصيصها ممراً للمشاة على كامل طـول الأرض على طريق الملك عبد الله، وتطلب ذلك إعادة تصميم الأسوار والمداخل والبوابات، فوافق معاليه بترحاب إيمانـاً منه بالمساهمة في خدمة المجتمـع، وتحقق لمعاليه ما يأمل من مساهمة الوزارة فـي الأدوار الاجتماعية مع الأمانة، التي لها الفضل في تنفيذ المشروع وتأهيله وصيانته، وهـذا الموقـع يلعب اليـوم دوراً حيوياً فـي العاصمـة لممارسة رياضة المشـي للعائلات والأفـراد، واستمرت بعد ذلك الأمانة في تنفيذه في مواقـع أخرى بعد نجاح تجربتها مع الوزارة، واتضح أهمية وجوده في كل حي لتشجيع المواطنين على ممارسة رياضة المشي تحقيقاً لصحة المجتمع.

هـذا غيضـ من فيض الذكريـات والتأملات، أرجو مـن أبي أحمـد أن يعذر صديقه المهندسـ الـذي يقضي وقته بين الحسابات والأرقام، ولا يجيـد التعبير ورصف الكلام، ولكنه يجيد فن المودة والاحترام والتقدير والمشاعر الإنسانية، الذي كان أحد المعلمين فيه هو أبو أحمد الإنسان، لا محمد الرشيد الوزير!!